



وظائف العقل في القرآن

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس



وظائفُ العقل
في القرآن



الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

ISBN 978 - 9948 - 455 - 07 - 3

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae





وظائف العقل في القرآن

بقلم

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين أول بإدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث » أن تقدّم إصدارها الجديد « وظائفُ العقل في القرآن » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطّلعين إلى المعرفة.

وهي رسالة تتوجه إلى القرآن ناظرة في مواضع ذكر العقل واللب، محاولة فهم هذه المواضع، متطلعة إلى صياغة وظائف العقل صياغة تساعد المسلم على الاقتراب من عالم القرآن، والتوجّه إلى الحياة بتصورات آمنة من الزلزل.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،



وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على النبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله
وصحبه ومنْ والاه.

وبعد: فإنَّ الحديث عن «العقل المعاصر بين الإعمال
والإهمال» يعني الحديث فيما ينبغي للعقل أن يعمل به وأهمله،
وما ينبغي أن يعمل به العقل لأبد من العودة فيه إلى الشارع
الذي حدّد له المساحة التي يتحرّك فيها، لذلك فإني رجعتُ
إلى القرآن وقيمتُ باستقراءِ لمواضع ذكرِ (العقل) و(اللّبِّ)
وما صيغَ منهما لاستخراج وظائفِ العقل المُصرّح بها والملمّح
إليها، وقد بلغتُ هذه المواضع خمسة وستين موضعاً^(١)،

(١) وفي موضوعاتها تكرار سيلحظه القارئ.



أعرضها هنا مرتباً لها على ترتيبها في المصحف مبتدئاً بالسور
المكية^(١)، ثم المدنية^(٢)، لنرى الوظائف التي ينبغي الانطلاق
منها أولاً.

ولا أعرض لدراسة الأساليب التي وردت فيها فلذلك
مجال آخر.

ولابد من القول: إن هذه المواد التي سأوردها هي صياغة
مني لما فهمته مستعيناً بأقوال عدد من المفسرين، وقد يكون
لآخرين فهم آخر.

وقد يكون من المفيد أن يعرض الإنسان نفسه على هذه
المواد ليرى ما قام به من هذه الوظائف وما لم يقم.

-
- (١) وهي أربع وعشرون سورة: (الأنعام، الأعراف، يونس، هود،
يوسف، الرعد، إبراهيم، النحل، الأنبياء، الحج، المؤمنون،
الفرقان، الشعراء، القصص، العنكبوت، الروم، يس،
الصافات، ص، الزمر، غافر، الزخرف، الجاثية، الملك).
- (٢) وهي تسع سور: (البقرة، آل عمران، المائدة، الأنفال، النور،
الحجرات، الحشر، الطلاق، الحديد).



وأظن أن دراسة هذه الوظائف في البيت والمدرسة والجامعة، وتعميم فهمها وتطبيقها واجب شرعي^١، يسنده واجب عقلي أيضاً.

وأنا شخصياً أجد في نفسي قصوراً وتقصيراً في استنباط هذه الوظائف، وفهمها، وتبليغها، وكان الإمام ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) يقول: «الذي ينبغي لطالب الحكمة أن يتدبّر به:

النظر في مفهوم القرآن حتى يفهم كل آية بما لو أراد أن يُترجم عنه [أي عن القرآن] بغير تلك العبارة أمكنه ذلك.

ثم مُتضمّن كل آية ممّا يدلُّ عليه من غير تصريح به.

ثم تحصيل ما يعمل عليه في الاجتباء والإنقاء.

ويكون من الجميع على ثقة في معتقده بالدليل عليه»^(١).

(١) تفسير ابن فورك، سورة الصف: (١٧٦ / أ).



فهذه أربع درجات ينبغي أن نمرَّ بها في كل آية، وأنى لنا بذلك؟ وعلمُ التفسير من العلوم المهملة تقريباً، وإذا عرض ودرّس يدرس بطريقة تقليدية باهتة.

وبعدُ: فقد قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

قال الإمام التابعي عامر الشعبي: « بيانٌ من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظةٌ من الجهل »^(١).

نرجو الله أن يمنَّ علينا بذلك^(٢).



(١) رواه سعيد بن منصور في كتاب التفسير من سننه.
 (٢) ألفت خلاصة هذا البحث في حلقة نقاشية أقامها مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي في الشارقة مساء يوم الأربعاء ٣/١١/٢٠١١م، تحت عنوان: «بناء العقل المسلم في عصر المعرفة»، وشارك فيها عدد من الأساتذة.



العهد المكي

١- تفضيل الآخرة على الدنيا ومعرفة أن الدنيا

لعبٌ وهوٌ:

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارٌ

الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

قال الزمخشري: «جعل أعمال الدنيا لعباً وهواً واشتغالاً

بما لا يعني ولا يعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة المنافع

العظيمة. وقوله ﴿لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ﴾ دليل على أن ما عدا أعمال

المتقين لعبٌ وهوٌ»^(١).

٢- الحذر من محرّمات خطيرة هي الشرك بالله، وعقوق

الوالدين، وقتل الأولاد، وقرب الفواحش، وقتل النفس

المعصومة:

(١) الكشاف (١٧/٢).



قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

«قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ رجاء أن يعقلوا، أي يصيروا ذوي عقول، لأن ملامسة بعض المحرمات يُنبئ عن خسارة عقل، بحيث يُنزَل ملبسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رجي أن يعقلوا»^(١).

إذن ففي ارتكاب هذه المحرمات (الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل الأُولاد وقرب الفواحش وقتل النفس المعصومة) إهمالٌ للعقل.

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٢١)



٣- تفضيل الدار الآخرة على الدنيا، وذلك دفعا لـ:

الرشوة في القضاء، والتألي على الله:

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

هذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل، والخطاب في خاتمها موجّه إليهم، وهو يشمل كل من يفضّل هذه الدنيا ومتاعها على الدار الآخرة.

قال ابن عاشور: «وجملة» والدار الآخرة خير للذين يتقون، حالية من ضمير «يأخذون» أي: يأخذون ذلك ويكذبون على الله، ويصرّون على الذنب، وينبذون ميثاق الكتاب، على علم في حال أن الدار الآخرة خير مما تعجلوه،



وفي جعل الجملة في موضع الحال تعريضٌ بأنهم يعلمون ذلك أيضاً، فهم قد خيروا عليه عرض الدنيا قصداً، وليس ذلك عن غفلة صادفتهم فحرمتهم من خير الآخرة، بل هم قد حرموا أنفسهم، وقرينة ذلك قوله: «أفلا تعقلون» المتفرع على قوله: «والدار الآخرة خير للذين يتقون»، وقد نزلوا في تخييرهم عرض الدنيا بمنزلة مَنْ لا عقول لهم، فخطبوا بـ «أفلا تعقلون» بالاستفهام الإنكاري، وقد قرئ بقاء الخطاب على الالتفات من العيبة إلى الخطاب»^(١).

٤- البحث في مصدر القرآن، وأنه من عند الله لا من

عند محمد:

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦].

(١) التحرير والتنوير (٨/ ٣٤٢).



في الآية دعوةً إلى إعمال العقل في مصدر القرآن، وأنه من عند الله لا من عند محمد، وقد بين الزمخشريُّ ما في الآية من أدلّة على ذلك فقال: «لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجباً خارقاً عن العادات، وهو أن يخرج رجلٌ أميٌّ لم يتعلم ولم يستمع، ولم يشاهد العلماء ساعةً من عمره، ولا نشأ في بلدٍ فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً، يبهر كلَّ كلامٍ فصيح، ويعلو على كل منثورٍ ومنظوم، مشحوناً بعلومٍ من علوم الأصول والفروع، وأخبارٍ مما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيءٌ من أسرارِهِ، وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحدٌ من أقرب الناس منه وأصقهم به... ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلي»^(١).

(١) الكشاف (٢/٣٣٥).



٥- الاستماع الحقيقي للقرآن، لأنَّ به عَقْلُ المعاني:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ٤٢].

«ومنهم أناسٌ يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يعقلون... أتطمع أنك تقدرُ على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدمُ عقولهم، لأنَّ الأصمَّ العاقل ربما تفرّس واستدل إذا وقع في صماخه دويُّ الصوت، فإذا اجتمع سلبُ السمع والعقل جميعاً فقد تمَّ الأمر»^(١).

في الآية دعوة إلى الاستماع الحقيقي، لأنَّ به يكون عَقْلُ المعاني.

(١) الكشاف (٢/٣٤٩).



٦- الحذرُ مِنْ نزولِ الرّجسِ، بالبحثِ عن طرقِ النّجاةِ

وسلوّكها:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

الذين لا يعقلون هم المصرون على الكفر^(١)، ففي الآية تحذيرٌ من ذلك، ونعيٌّ على الذين أهملوا عقولهم بحيث أصبحوا كمن لا عقول لهم، ودعوةٌ إلى إعمال العقل بالبحث عن طرق النجاة.

٧- التفكُّرُ في أدلّةِ صدقِ المرسلين:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ مُقْتِرُونَ ﴿٥١﴾ يَا قَوْمِ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جُزْأً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥٠-٥١].

(١) انظر الكشاف (٢/ ٣٧٣).



«ما من رسول إلا واجه قومَه بهذا القول، لأنَّ شأنهم النصيحة، والنصيحةُ لا يمحصها ولا يمحصها إلا حسمُ المطامع، وما دام يُتوهم شيءٌ منها لم تنجع ولم تنفع، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردون نصيحةَ مَنْ لا يطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثوابُ الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك»^(١).

٨- فهمُ القرآن، والإحاطةُ بمعانيه، والحدُّ من اللبس:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[يوسف: ٢].

«إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس

عليكم»^(٢).

(١) الكشاف (٢/ ٤٠٢).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٤٠).



٩- تفضيل الآخرة على الدنيا، والإيقان بذلك، استدلالاً

بُحَسْنِ عَاقِبَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ

مَنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿ [يوسف: ١٠٩].

قال ابن عاشور: «وجملة ﴿ وَلِدَارُ الْأَخِرَةِ ﴾ خبر، معطوفة

على الاعتراض فلها حكمه، وهو اعتراض بالتبشير وحسن

العاقبة للرسول عليهم السلام ومن آمن بهم وهم الذين اتقوا،

وهو تعريض بسلامة عاقبة المتقين في الدنيا، وتعريض أيضاً

بأن دار الآخرة أشدُّ أيضاً على الذين من قبلهم من العاقبة التي

كانت في الدنيا، فحصل إيجازٌ بحذف جملتين»^(١).

(١) التحرير والتنوير (١٢/١٢٨).



١٠- الاعتبار بقصص الأنبياء:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

١١- النظر في أفعال الله، ومن ذلك: خلق بقاع الأرض المختلفة، وخلق جنات الأعناب، والزروع، والنخيل ذي الرأس والرأسين المختلفة، وتغاير ثمرها في الشكل واللون والطعم والرائحة، مع أنها تُسقى بماءٍ واحدٍ:

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].



١٢- العلم بأحقية القرآن، واكتشاف محاسنه، وارتفاعه

على ما سواه، والتعمق في أثره الجميل في حياة من يأخذ به:

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾

[الرعد: ١٩-٢٢].

١٣- التذكُّر بالقرآن من خلال المعرفة بأنه أبلغ ما

يكون من المعنى والمبنى، والندارة به، والعلم بأن الله واحد لا شريك له:

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].



١٤- النظرُ في أفعال الله، ومن ذلك: تسخير الليل والنهار

والشمس والقمر والنجوم:

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

«جمَع الآية وذكر العقل لأنَّ الآثار العلوية أظهر دلالة

على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة»^(١).

١٥- النظرُ في أفعال الله، ومن ذلك: خلق ثمرات النخيل

والأعناب لبني الإنسان:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧].

(١) الكشاف (٢/٥٩٧).



١٦- اليقينُ بأنَّ في القرآن أعظمَ الشرفِ والصيتِ

للمسلمين إذا التزموا به:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

﴿ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم وصيتكم كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ

لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. أو موعظتكم. أو فيه مكارمُ

الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحُسن

الجوار والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة،

والسخاء، وما أشبه ذلك»^(١).

١٧- العلمُ بأنَّ مَنْ دُونِ اللَّهِ لا يَنْفَعُ شَيْئاً ولا يَضُرُّ، وتَقْيِيبُ

الشُّرْكَ بكلِّ وسيلة:

قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا

لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ

مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

(١) الكشاف (٣/١٠٥).



١٨- السيرُ في الأرضِ إنما يكون للاعتبار والاعتاظ والتأمل في أحوال الأمم الغابرة والأقوام السابقة، وما آل إليه أمرُها وصار عليه حالُها:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

١٩- النظرُ في أفعال الله، ومن ذلك: إنشاءُ السمع والأبصار والأفئدة، وذرءُ الناس في الأرض، والإحياء والإماتة، واختلافُ الليل والنهار:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨-٨٠].



﴿وَلَهُ أُخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي هو مختص به وهو

متوليّه، ولا يقدر على تصرفها غيره^(١).

٢٠- الحذر من اتباع الهوى فإنه يقود إلى عدم السماع

النافع، وفقدان العقل الرادع:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ، هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؕ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢].

«في عبارة ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ، هَوَاهُ﴾ تفریعٌ لاذعٌ للكفار وتقریرٌ بأن ما هم عليه ليس ناتجاً عن تدبّرٍ وتعقلٍ، وإنما هو تعصبٌ أعمى لعقائد باطلة وتمسكٌ بالهوى دون الحق.

(١) الكشف (٣/١٩٩).



ونفس التقريرع اللاذع منطوي في الآية الأخيرة التي تصفهم بأنهم كالأنعام بل أضل^(١).

والربط بين اتباع الهوى وعدم العقل يأتي هنا أول مرة، وهو درس كبير في تجنب الهوى لمن أراد إعمال عقله.

٢١- ضرورة النظر في خلق النفس والآباء، والنظر في هذا الكون ولا سيما طلوع الشمس وغروبها:

قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٥-٢٨].

قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف قال أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧]، وآخرأ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟»

(١) التفسير الحديث (٣/٨٦).



قلت: لا ين أولاً، فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن. وعارض ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

ويستفاد من الآيات ضرورة النظر في خلق النفس والآباء، والنظر في هذا الكون ولا سيما طلوع الشمس ومغربها «على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو»^(٢).

٢٢- تفضيل ما عند الله على الدنيا دُفعاً للاغترار

بمتاعها الزائل:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

(١) الكشاف (٣/٣٠٨).

(٢) السابق.



«وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياماً قلائل، وهي مدة الحياة المتقضية ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَى﴾ لأن بقاءه دائم سرمد. وقرئ يعقلون: بالياء، وهو أبلغ في الموعدة»^(١).

٢٣- الاعتبار والاتعاظ بمصائر الأمم السابقة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤-٣٥].

« والمعنى: ولقد تركنا من القرية أثاراً دالة لقوم يستعملون عقولهم في الاستدلال بالأثار على أحوال أهلها. وهذه العلامة هي بقايا قريتهم مغمورة بباء بحيرة لوط تلوح من تحت المياه....»^(٢).

(١) الكشاف (٣/ ٤٢٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٦٧).



٢٤- الاهتمام البالغ بفهم أمثال القرآن فإتها تؤدّي إلى

منزلة عالية في العلم:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا

يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

«أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأنَّ

الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجة في

الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام»^(١).

٢٥- النظر في أفعال الله، ولا سيما إنزال الماء من السماء

وإحياء الأرض به بعد موتها، ومعرفة ما في ذلك من دلالة على

الخالق الرازق:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

(١) الكشاف (٣/٤٥٥).



« لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد. أو لا يعقلون ما تريد بقولك: الحمد لله، ولا يفتنون لِمَ حمدتَ الله عند مقاتلتهم»^(١).

٢٦- النظرُ في أفعال الله، ومن ذلك: ظاهرة البرق، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض به بعد موتها:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤].

في الآية دعوةٌ إلى إعمال العقل والتفكير في مظاهر وجود الله وقدرته.

٢٧- نبذُ الشركِ وتقبيلُهم بضرب الأمثال التي تُظهرُ قبحه، ومن ذلك: رفضُ السادةِ المساواةَ بعبيدهم، ورفضُهم

(١) الكشاف (٣/٤٦٣).



فالاستفهام إنكاري عن عدم كونهم يعقلون. أي يدركون، إذ لو كانوا يعقلون لتفطنوا إلى إيقاع الشيطان بهم في مهاوي الهلاك. وزيادة فعل «الكون» للإيحاء إلى أنَّ العقل لم يتكون فيهم، ولا هم كائنون به»^(١).

٢٩- التفكُّر في أحوال الإنسان وأطواره، وعودته إلى الضعف بعد القوة، للإيقان بقدرة الله والخشية من سلبه النعم، من خلال قياس الغائب على الشاهد:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ (١١) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (٦٧) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿ [يس: ٦٦-٦٨].

هذه الآيات «احتوت تقريرات ربانية بأنَّ الله لو شاء لطمس على أعين الكفار فلا يستطيعون أن يبصروا الصراط المستقيم ويسيروا فيه.

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٥٥).



أو لو يشاء لمسخهم فبدّل من صورهم وأفقدهم قابلية الحركة والنشاط المعتادة.

وأنّ في ما يرونه من آثار قدرة الله وناموسه في تبديل خلق الإنسان وقواه وإرجاعه - حين شيخوخته - إلى الضعف وسوء الحال لدليلاً على ذلك لو عقلوا^(١)

وعلى هذا يكون في الآية دعوةٌ إلى إعمال العقل في آثار قدرة الله تعالى، وقياس الغائب على الشاهد.

٣٠- الاعتبارُ والاتعاظُ بمصائر الأمم السابقة، ويأتي

هذا للمرة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۗ إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلُهُ

أَجْمَعِينَ ۗ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ۗ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ۗ

وَإِنَّكَ لَمِنُورُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۗ وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ تَعْلَمُونَ ۗ

[الصافات: ١٣٣-١٣٨].

(١) التفسير الحديث (٣/٣٨).



«يعني: تمرّون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلاً ونهاراً، فما فيكم عقولٌ تعتبرون بها؟»^(١).

«وَفَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ بِالْقَاءِ اسْتِفْهَامٍ إِنْكَارِيٍّ مِنْ عَدَمِ فَطَنَتِهِمْ لِدَلَالَةِ تِلْكَ الْآثَارِ عَلَى مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَعَلَى سَبَبِ ذَلِكَ وَهُوَ تَكْذِيبُ رَسُولِ اللَّهِ لَوْطٍ»^(٢).

٣١- التذكُّرُ بالقرآنِ مِنْ خِلالِ تَدْبِيرِ الْآيَاتِ:

قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وعلى كل مَنْ يَرَى أَنَّهُ ذُو لَبِّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَذَكِّرِينَ بِهِ،
وإِلَّا فَإِنَّ دَعْوَاهُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ.

(١) الكشاف (٤/ ٦١).

(٢) التحرير (٢٣/ ٨٢).



«وتدبّر الآيات: التفكّر فيها، والتأمّل الذي يؤدّي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة»^(١).

٣٢- الأخذ بالصبر عند الابتلاء إيقاناً بحسن عاقبة

الصابرين:

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٤١-٤٣].

«والمعنى: أن الهبة كانت للرحمة له، ولتذكير أولي الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء، وعاقبة الصابرين، وما يفعل الله بهم»^(٢).

(١) الكشاف (٤/ ٩٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٩٧-٩٨).



٣٣- عدم المساواة بين المؤمن والكافر، وعدم المساواة بين

العالم والجاهل:

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمُونَ ۗ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

«والألباب: العقول، وأولو الألباب: هم أهل العقول
الصحيحة، وهم أهل العلم. فلما كان أهل العلم هم أهل
التذكر دون غيرهم أفاد عدم استواء الذين يعلمون والذين
لا يعلمون...»^(١).

٣٤- استماع أوامر الله واتباع أحسنها:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا
إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

(١) التحرير والتنوير (٢٤ / ٣٩).



أَحْسَنَهُ ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ وَوَلَّيْنَاكَ هُمْ أَوْلُوا أَلَّا يَبِ ۖ ﴿
[الزمر: ١٨].

« قيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن.

وقيل: يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها، نحو:
القصاص والعفو، والانتصار والإغضاء، والإبداء والإخفاء
لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]،
﴿وَلِنْ تَخْفُوهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾
[البقرة: ٢٧١]»^(١).

٣٥- النظرُ في أفعال الله سبحانه، ومن ذلك: إنزال الماء
من السماء وسلكه يتابع في الأرض، ثم إخراج زرعٍ مختلفٍ
ألوانه به، ثم اصفرارُ هذا الزرع وأيلوته إلى الحطام:
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ

(١) الكشاف (٤/١٢١).



يَسْبِغَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ
فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: ٢١].

«﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ لتذكيراً وتنبهها على أنه لا بد
من صانع حكيم، وأن ذلك كائنٌ عن تقديرٍ وتدييرٍ، لا عن
تعطيل وإهمال...»^(١).

٣٦- النظرُ فيما يُدعى الله مِنْ شركاء، ومعرفةُ أنهم
لا يملكون شيئاً ولا يعقلون:

قال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

٣٧- الإيذانُ بأنَّ رسالةَ موسى - في مرحلتها - كانت
هدى، وهذه وظيفةٌ للعقل في عهد موسى وما بعده:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي

(١) الكشاف (٤/١٢٢).



إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾
[غافر: ٥٣-٥٤].

الكتاب هو التوراة و﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾: إرشاداً وتذكرة، وانتصابهما على المفعول له، أو على الحال. وأولو الألباب: المؤمنون به العاملون بما فيه^(١).

٣٨- النظر في مبدأ خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة، وأحواله وأطواره، لمعرفة ما في ذلك من عبرٍ وحججٍ والوصول إلى أن له خالقاً:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََتَّكِفُوا شِيْخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّفُ مِنْ قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَعَلَّكُمْ تَعْلِيمًا﴾ [غافر: ٦٧].

(١) الكشاف (٤/١٧٣).



﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما في ذلك من العبر
والحجج^(١).

إذن في الآية دعوة إلى التأمل والتفكير في خلق الإنسان
للوصول إلى أن له خالقاً.

٣٩- فهم القرآن، والإحاطة بمعانيه، والحذر من اللبس.
وهذا للمرة الثانية:

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
[الزخرف: ٣].

«إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا: لولا فصلت
آياته»^(٢).

(١) الكشاف (٤/ ١٧٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٣٦).



٤٠ - النظرُ في أفعال الله، ومن ذلك: اختلاف الليل والنهار، وإنزال المطر من السماء لإحياء الأرض بعد موتها، وتصريفُ الرياح جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية: ٣-٥].

«فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقتٍ كاختلاف الليل والنهار، ونزول الأمطار، وحياة الأرض بها بعد موتها، وتصريف الرياح جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم»^(١).

(١) الكشاف (٤/ ٢٨٥).



٤١- سماعُ القرآن وعقلُ معانيه وأوامره ونواهيه،
وتأملُ ذلك:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ [المك: ١٠].

«﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ الإنذارَ سماعَ طالبين للحق. أو نعقله
عقل متأمِّلين»^(١).



(١) الكشاف (٤/ ٥٧٩).



العهد المدني

٤٢- أَخَذُ النَّفْسَ بِالْبِرِّ قَبْلَ أَمْرِ النَّاسِ بِهِ:

قال تعالى موبِّخاً اليهود: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

٤٣- الاتِّعَاضُ بِرُؤْيَةِ الْآيَاتِ الْخَارِقَةِ:

قال تعالى حاكياً قصة البقرة: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاكَ
كَذَلِكَ يُجِىءُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
[البقرة: ٧٣].

٤٤- الْحَذَرُ مِنْ مَخَالَفَةِ الْقَنَاعَاتِ الْحَقَّةِ بَعْدَ انْتِصَاحِهَا

ورسوخها، لِحُبِّ دُنْيَا وَجَلْبِ مَعْنَمٍ:

قال تعالى مخاطباً المؤمنين مقبِّحاً فعل مَنْ فعل مثل هذا
من اليهود: ﴿ أَفَنْظَمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ



يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٧٥].

وفي هذا درسٌ عظيمٌ للناس لا سيما العلماء.

٤٥ - إظهارُ الحقائق وعدم كتمانها، وإن سَوَّلَتِ الأَنْفُسُ
أَنْ فِي كِتَابِهَا مَصْلِحَةٌ:

وقد نعى الله على فريقٍ من اليهود ظنوا الحق كتمان
الحقيقة فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦].

٤٦ - النظرُ في أفعال الله سبحانه، ومن ذلك:

خلقُ السموات والأرض، واختلافُ الليل والنهار،
والفلكُ التي تجري في البحر، وإنزالُ الماء من السماء وإحياء
الأرض به بعد موتها، وبثُّ الدوابِّ فيها، وتصريفُ
الرياح والسحاب:



قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٤٧- النظر في الموروث، وتمييز الصالح من الفاسد منه:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولُو كَأَن ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

٤٨- المبادرة إلى الإيمان الحق والقيام بمتطلباته

ومستلزماته، حذراً من الوصف الحاق بالكافرين:

قال تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهَمَّ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].



٤٩- الإيمان بأنَّ في القصاص العادل حفظاً للأرواح والأعراض والأموال:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِيبٍ لِّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

قال الزمخشري في تفسيرها: «تعملون عملَ أهلِ التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به. وهو خطابٌ له فضلٌ اختصاصٍ بالأئمة»^(١).

٥٠- المبادرة إلى التقوى والتزامها:

قال تعالى: ﴿الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحِجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحِجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَأَتَّقُونَ يَتَأُولَىٰ آلَ لَبِيبٍ﴾ [البقرة: ١٩٧].

(١) الكشاف (١/٢٢٣).



قال الزمخشري: «يعني: أن قضية اللب تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له»^(١).

٥١- فهم كل ما بينه الله من الآيات ولا سيما المتعلق
بنهايات العلاقات الزوجية:

قال تعالى في آيات العدة من وفاة الزوج ومتعة المطلقات:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: ٢٤٢].

٥٢- التذكّر بأنّ نعمة الحكمة - وهي وضع الشيء في

موضعه - نعمة عظيمة وفيها خير كثير:

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(١) الكشاف (١/٢٤٤).



قال الزمخشري: « يريدُ الحكماءَ العلماءَ العمّالَ .
والمراد به الحثُّ على العمل بما تضمّنت الآيُ في معنى
الإِنفاق»^(١).

٥٣- إلقاءُ الذهن، وحسن التأمل في الآياتِ المحكماتِ
والمُتشابهات:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

«مدحٌ للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل»^(٢).

(١) الكشاف (١/٣١٦).

(٢) الكشاف (١/٣٣٨).



٥٤- الاستفادة مِنْ مُعْطِيَاتِ التَّارِيخِ فِي الْحَوَارِ مَعَ

الْآخِرِينَ:

قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
[آل عمران: ٦٥].

«أفلا تعقلون» حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال

المحال»^(١).

٥٥- الحذر من الأعداء واستبطنهم:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ
دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ
تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

(١) الكشاف (١/ ٣٧١).



﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما بَيَّنَّ لَكُمْ فَعَمَلْتُمْ بِهِ»^(١).

﴿هَآئِنْتُمْ أُوْلَآءَ﴾ أَي أَنْتُمْ أَوْلَاءِ الْخَاطِئُونَ فِي مَوَالِيَةِ

مِنَافِقِي أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٢).

٥٦- النظرُ في أفعال الله سبحانه، ومن ذلك: خلق

السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

﴿لَآيَاتٍ﴾: لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته

وباهر حكمته ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ للذين يفتحون بصائرهم

للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم

غافلين عما فيها من عجائب الفطر. وفي النصائح الصغار:

(١) الكشاف (٣/٤٠٦).

(٢) الكشاف (٣/٤٠٦).



املاً عينيك من زينة هذه الكواكب.

وأجلهما في جملة هذه العجائب.

متفكراً في قدرة مقدرها.

متدبراً حكمة مدبرها.

قبل أن يسافر بك القدر

ويُحال بينك وبين النظر»^(١).

٥٧- الحذر الشديد من الاستهانة والاستخفاف

بشعائر الله، فإن ذلك وصف من لا يعقل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا

وَلَعِبًا ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

(١) الكشاف (٣/٤٥٢).



٥٨- عدم الاغترار بكثرة الخبيث في المال والعمل
والمذاهب والناس، وإيثار الطيب وإن قل:

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾
[المائدة: ١٠٠].

٥٩- الحذر من نسبة حُكْمٍ إلى الله لم يُنزِله وقولٍ لم يُقله:
قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ
وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٦٠- المبادرة إلى سماع الحق والعمل به:

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا
سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمَمُ
الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٢].



٦١- فهم كل ما بينه الله من الآيات ولا سيما المتعلقة
بالعلاقات الأسرية والاجتماعية:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ
بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ
أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ
طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

«وجملة ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾

تكريرٌ للجملتين الواقعتين قبلها في آية الاستئذان لأن في



كل ما وقع قبل هذه الجملة بياناً لآيات القرآن اتضحت به الأحكام التي تضمنتها وهو بيانٌ يُرجى معه أن يحصل لكم الفهمُ والعلمُ بما فيه كمال شأنكم^(١).

٦٢- التَّأدُّبُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا يَلِيْقُ بِجَلَالَةِ قَدْرِهِ

وعظيم فضله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

٦٣- الحذرُ من تشبُّت القلوب، فإنَّ ذلك يوهنُ القوى

ويعين على إزهاق الأرواح:

قال تعالى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ

أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ

شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

(١) التحرير (١٨/٢٤٤).



٦٤- الاعتبارُ بمصائر مَنْ عتَا عن أمرِ الله ورسوله،

والخوفُ من الله مُحصَّنًا من ذلك:

قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾

فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذِبْنَهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا

وَكَانَ عِقَبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿[الطلاق: ٨-١٠].

٦٥- فهمُ أفعالِ الله الظاهرة والباطنة، وذلك على كلا

المعنيين اللذين ذكرا في تفسير قوله تعالى:

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿[الحديد: ١٧].

قال ابنُ الجوزي: «﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا﴾ أي يخرج منها النبات بعد يسسها، فكذلك يقدر على



إحياء الأموات، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وحدانيته
وقدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تتأملوا^(١).

وقال الزمخشري: «قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب،
وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض»^(٢).



(١) زاد المسير (١٦٩/٨).

(٢) الكشاف (٤٧٨/٤).

